اللغة العربية في الثقافة والإعلام

أ.د. محمود أحمد السيد
نائب رئيس مجمع اللغة العربية – سورية

نحاول في هذا البحث الموجز أن نبين أوجه اللغة العربية وواقعها في الثقافة والإعلام، لنتوصل أخيراً إلى رسم بعض الصوى للنهوض بذلك الواقع، آخذين بالحسبان أن معالجة هذا الموضوع تحتاج إلى بحوث مستفيضة تسلط الأضواء عليه، ولا يمكن لبحث واحد أن يحيط به كلياً، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جلّه.

أولاً: أَوْجُه اللغة العربية

إن الإنسان في جوهره ليس إلا لغة وهوية، اللغة فكره ولسانه، وفي الوقت نفسه انتماؤه، وهذه كلها هي هويته وحقيقته وإنيته، ولا يمكننا أن نتصور إنساناً ولا مجتمعاً من غير هوية، ولا هوية من غير لغة، وثمة ارتباط بين اللغة والهوية، والمحافظة على إحداهما محافظة على الأخرى، وفي إنقاذ إحداهما إنقاذ للأخرى. فاللغة هي هوية الأمة، وأمارة على شخصيتها، وذاتيتها الثقافية، تحافظ على الهوية من الضياع، وعلى الشخصية من الذوبان والاستلاب، وما من أمة أضاعت لسانها إلا أضاعت تاريخها، وسوف تضيع حاضرها ومستقبلها، ولا يمكن لأمة أن تبدع علماً إلا بلغتها الأم، ولا تنمية إلا باستعمال اللغة الوطنية.

وها هي ذي الشواهد العالمية تثبت أن ثمة دولاً تبوأت مراحل متقدمة في سلم التنمية البشرية، كانت تستخدم لغتها الوطنية في مجالات تقدمها وارتقائها، فها هي ذي كوريا تحتل المرتبة السابعة والعشرين في سلم التنمية البشرية، وقد وصلت إلى هذه المرتبة بلغتها الوطنية لا بالأجنبية، وها هي ذي باكستان، وهي دولة صناعية نووية، بنت نهضتها بلغتها لا

بالإنجليزية، وها هي ذي إسرائيل العنصرية أحيت لغتها العبرية، الميتة منذ ألفي سنة، لتستعملها في مجالات الحياة كافة، إذ إنها أعادتها إلى الحياة في تعليمها الرسمي والخاص وفي جميع شؤون حياتها، وها هي ذي جامعاتها تدرس بالعبرية، وسمّت الجامعة الأولى لديها الجامعة العبرية نسبة إلى اللغة والثقافة التي تريد إحياءَها وتطويرها من خلال التدريس بها، والبحث العلمي بوساطتها، ولا توجد في إسرائيل مدرسة واحدة تدرس بغير العبرية.

وإن وظائف اللغة عامة تتمثل في التفكير والتواصل والتعبير، ذلك لأن اللغة والفكر وجهان لعملة واحدة، ولا تنقل الأفكار إلا بوساطة الرموز اللفظية، وباللغة يطلع المرء على ثقافة مجتمعه ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، ويطلع على تجارب الآخرين، كما أنه يُطلع الآخرين على تجاربه وثقافة أمته، وباللغة يفكّر، ويعلّم، ويتعلّم، ويبلّغ، ويرّفه، وبها يعبر عن مشاعره وعواطفه وأحاسيسه، ويطوّر تجارب حياته، ويتواصل مع الآخرين.

بيدَ أن للغتنا العربية، فضلاً عن ذلك كله، أبعاداً أخرى تتمثل في البعدين الديني والقومي، فهي لغة القرآن الكريم الذي نزل به الروح الأمين على قلب الرسول العربي الكريم ﷺ آيةً لنبوته، وتأييداً لدعوته، ودستوراً لأمته.

أما البعد القومي للغة العربية فيتمثل في أن العربية الفصيحة هي اللغة الموحِّدة والموحَّدة على الصعيد العربي، في حين أن اللهجات العامية تفرّق بين أبناء الأمة، لا بل إنها تفرّق بين أبناء القطر الواحد، ورحم الله أمير الشعراء أحمد شوقي إذ يقول:

ويجمعنا إذا اختلفت بلادٌ بيانٌ غير مختلفٍ ونطقُ

ولغتنا العربية هي حاملة أفانين الحضارة العربية الإسلامية، وهي الثقافة العربية، وروح الأمة العربية وذاكرتها، وحضنها الدافئ الحنون، وحصنها الأخير في لمّ الشمل، وتوحيد الفكر بين أبناء الأمة، والحفاظ على كيانها وذاتيتها.

ومادامت العربية على هذا النحو فما واقعها في الثقافة والإعلام؟

ثانياً: اللغة العربية في الثقافة

إذا كانت دساتير الدول العربية تنص على أن اللغة الرسمية في الدولة هي العربية الفصيحة، فإننا نلاحظ أن ثمة هوة بين ما تنص عليه الدساتير وما يطبق على أرض الواقع أمام نظر المسؤولين وبرعايتهم، لأنهم لو رغبوا في أن تتبوأ العربية المكانة الجديرة بها في ضروب الثقافة كافة، كانوا أصدروا القرار السياسي اللازم للتعريب المتضمن سيرورة اللغة العربية، وانتشارها على جميع الصعد، وفي المنظومات كافة، ومنها المنظومة الثقافية.

وإذا ألقينا نظرة على واقع العربية في المنظومة الثقافية أَلْفَيْنا ما يلي:

انحسار العربية في العملية التعليمية التعلمية

إن ثمة انحساراً للعربية الفصيحة في العملية التعليمية التعلمية، إذ تسيطر اللغة الفرنسية في جامعات المغرب العربي ومعاهده، وتهيمن اللغة الإنجليزية في جامعات الخليج العربي ومعاهده، وإن الجامعات الخاصة لا بل المدارس الخاصة أيضاً تدرّس أغلب موادها بالأجنبية حتى في مواد العلوم الإنسانية.

ففي التعليم العالي في دول المغرب العربي والخليج العربي يشرف على هذا التعليم أساتذة وإداريون لم يتخلصوا من هيمنة الأجنبية، وهم يقفون في وجه العربية وينظرون نظرة فوقية إلى المؤهلين بها، ويصفونهم بالتخلف، وغدا التعليم العالي قلعة حصينة للتعليم بالفرنسية في دول المغرب العربي، وبالإنجليزية في دول الخليج العربي.[1]

ففي دولة قطر، تعلّم المواد العلمية في مراحل التعليم العام بالإنجليزية، وجيء بمدرسين بريطانيين وأمريكيين لتدريس اللغة الإنجليزية والعلوم والرياضيات والمعلوماتية. وفي التعليم العالي تدرّس مواد المعرفة بالإنجليزية حتى في كلية الشريعة والعلوم الإنسانية والاجتماعية.

وفي الإمارات العربية المتحدة، تدرّس العلوم والرياضيات بالإنجليزية أيضاً من الصف

[1] الدكتور محمود أحمد السيّد، **اللغة العربية واقعاً وارتقاء**، وزارة الثقافة السورية، دمشق 2010 ص44.

الأول حتى الصف الثاني عشر، وتهيمن الإنجليزية على التخصصات كافة في التعليم العالي، وامتدت إلى قسم اللغة العربية حيث تدرّس بعض المقررات بها.

وفي السعودية ثمة قرار من وزارة التربية يسمح للمدارس الخاصة بتدريس العلوم والرياضيات باللغة الأجنبية. [1]

وليس ثمة حوافز لمدرسي اللغة العربية من حيث الرواتب والترقية والتدريب، ويفضَّل مدرسو اللغة الإنجليزية عليهم، وهناك نظرة فوقية من ذوي الثقافة الإنجليزية إلى المؤهلين بالعربية.

وفي اجتماعات أولياء الأمور في المدارس الخاصة في بعض الدول العربية يطلب المشرفون إلى الأهلين التحدث مع أبنائهم في البيوت باللغة الأجنبية.[2]

ويعد التمكن من اللغة الإنجليزية أساساً للقبول والتدريس والتخاطب الرسمي والنشاطات البحثية في معظم الأقسام العلمية في الجامعات الخليجية، حتى إن أقسام الطب والعلوم الطبية المساندة والعلوم الطبيعية والبحثية لا يقبل فيها إلا المتفوقون في معرفة الإنجليزية بمختلف مهاراتها. أما مهارات اللغة العربية فلا يذكر منها شيء، لأنها لا تستعمل في مثل هذه الأقسام إلا في حدود ضيقة من التعامل، وفي تدريس قليل من المواد التكميلية المهمشة، وهذا ما يقلل من ممارستها بين المنتسبين إلى هذه الأقسام من أفراد المجتمع، ويؤدي بهم في النهاية إلى نسيان الكثير مما تعلموه من قواعدها ومهاراتها، ويدفع بهم في نهاية الأمر إلى الانصراف عنها بدافع الإحساس بقلة فاعليتها، على اعتبار أنها مواد غير أساسية، ولن تكون مهمة مستقبلاً مقارنة بالإنجليزية التي يبشر التفوق فيها بمستقبل واعد، وأحلام جميلة، ومناصب وظيفية عالية، وعوائد مالية مغرية، وهذا ما يضعف ولاءهم للعربية ولثقافتها في كثير من

---

[1] المرجع السابق ص45.

[2] الدكتور أحمد درويش، **التحديات اللغوية العامة للعربية المعاصرة**، الوثيقة الإقليمية لمناهج تعليم وتعلم اللغة العربية، الجمعية العربية لضمان الجودة في التعليم، القاهرة 2009 ص185.

الأحيان.[1]

وهذه الإجراءات والممارسات كافة تشير إلى أن ما عجز الاستعمار عن تحقيقه في إبعاد اللغة العربية وتهميشها، قد تحقق على أيدي أبناء اللغة أنفسهم بوعي منهم أو بلا وعي، عندما فتر الانتماء لديهم، وإذا فتر الانتماء وضعف يتحلل المرء من قيمه، ويتخلى عن كثير من دعائم إنسانيته إلى جانب تخليه عن قوميته. والتحلل من الانتماء سلسلة متى بدأت تلاحقت تأثيراتها وتضاعفت، والنتيجة واحدة هي أن يخسر الإنسان نفسه، وتخسر الأمة هويتها.

أما في بعض المواقع التي تستخدم العربية الفصيحة فيها في العملية التعليمية التعلمية، فإنك تجد جنوحاً نحو استخدام العامية والألفاظ الأجنبية أيضاً، وكثرةً في الأخطاء اللغوية في المحادثة والقراءة والكتابة، وقصوراً في التعبير اللغوي، كما أن اللغة تؤدى بأردأ المناهج، ويتولى تعليمها مدرسون ليسوا على مستوى كافٍ من التأهيل، وتعرض على التلاميذ بأبشع الوسائل، ويفصل فصلاً تاماً بين التلميذ وهذه اللغة بمختلف الحواجز، فهي لغة ميتة في حياته اليومية، لا يجد التشجيع على إجادتها، ولا النصوص الجيدة التي تجعله يتعلق بها[2]، وجاءت نصوص الحداثة متدثرة بالغموض واللا معقول والتفكك السياقي لتجعل من نصوص الشعر على وجه الخصوص نصوصاً بهلوانية هزيلة ومعزولة عن الذائقة الفنية، وأصبح التركيز على رصف الكلمات المتنافرة.[3]

العزوف عن القراءة

لم يفلح النظام التربوي العربي في تخريج القارئ الجيّد المتمثل للمقروء، والمزود بالفهم

---

[1] الدكتور أحمد محمد المعتوق، **التحديات التي تواجهها اللغة العربية المعاصرة في تعلمها والتعليم بها في دول الخليج العربي**، المملكة العربية السعودية نموذجاً- اللغة العربية والتعليم، رؤية مستقبلية للتطوير، أبو ظبي 2008 ص344.

[2] الدكتور أحمد ضبيب، **أزمة اللغة العربية في التعليم- مجلة الحياة الفكرية**، العدد (2)، وزارة الثقافة السورية، دمشق 2009 ص26.

[3] المرجع السابق ص27.

لما بين السطور وما وراء السطور، وبالتحليل والنقد الموضوعي، كما أنه لم يفلح في إكساب الخريجين مهارات التعلم الذاتي الذي هو أساس للتعلم المستمر مدى الحياة.

ولا يعد المواطن مواكباً لروح العصر إلا إذا كان قارئاً جيداً، ليس في مجال تخصصه فقط، وإنما في المجال الثقافي عامة.

ومن الملاحظ أن ثمة عزوفاً عن القراءة لدى المتخرجين في مدارس التعليم العام والجامعي، وهذا الأمر لا نلاحظه لدى الأقوام الأخرى، إذ تشير الإحصاءات إلى أن الغربي يقرأ أربعين كتاباً في العام، وأن الإسرائيلي يقرأ خمسة وثلاثين كتاباً، وأن السنغالي يقرأ أربعة كتب، في حين نجد في الوطن العربي أن كتاباً واحداً لكل ثمانين شخصاً، ونحن ويا للأسف أمة «إقرأ».!!

القصور في ثقافة الأطفال

أطفال الأمة هم مستقبلها، وبقدر ما نُعنى بهم نضمن مستقبلاً مشرقاً لأمتنا، وتدل الدراسات والبحوث على أن العصر الذهبي لاكتساب اللغة اكتساباً عفوياً تلقائياً إنما هو في الطفولة المبكرة (رياض الأطفال).

والواقع يدل على أن هذه الشريحة العمرية مهملة في وطننا العربي، إذ لا يتجاوز نسبة الملتحقين بالرياض من الأطفال 13%، كما أن مربيات هذه المرحلة لسن مُعدَّات إعداداً تربوياً على مستوى جامعي. كما أن ثمة فقراً وفاقة في مواد الثقافة الموجهة إلى الأطفال بوجهٍ عام[1]، إذ تشير الإحصاءات إلى أن في الوطن العربي نحواً من 520 صحيفة يومية وأسبوعية، يوازي عدد المطبوعات في دولة نامية مثل الباكستان، حيث يصل عدد الصحف اليومية فيها إلى 195 صحيفة، وعدد الصحف الأسبوعية إلى 356 صحيفة.

أما المجلات المخصصة للأطفال في الوطن العربي فهي 62 مجلة، ومنها 10-12 مجلة فقط توزع في أقطار الوطن العربي، والبقية محلية التوزيع، وهذا العدد أقل من نصف عدد

[1] الدكتور محمود السيّد، **في قضايا الطفولة**، وزارة الثقافة السورية، دمشق 2005 ص22.

المجلات المخصصة للأطفال في دولة صغيرة مثل الدانمارك، التي لا يزيد عدد سكانها على خمسة ملايين نسمة حيث يصل عدد المجلات المخصصة للأطفال إلى 180 مجلة أسبوعية وشهرية.

ومن الملاحظ أن المناخ الثقافي العام يشكو قلة الوسائل التثقيفية المتوفرة للأطفال، من مكتبات ودور سينما وأجهزة وكتب ومجلات، إضافة إلى أن بعض المجلات الصادرة عربيةٌ في لغتها، ولكنها أجنبية في عناوينها ومحتوياتها وأبطال قصصها «ميكي- تان تان- سوبرمان.. الخ».

وإذا ألقينا نظرة على لُعب الأطفال في الوطن العربي فإننا نلاحظ أنها مستوردة من الغرب أو من الشرق الأقصى، وأن لغتها هي الإنجليزية في الأعم الأغلب، وأن كثيراً من هذه الألعاب مشبع بالرموز والنماذج التي تمجد قوة الغرب وأبطاله «اللعب الحربية». ولا تَقِلُّ اللُّعَب غير الحربية في تأثيرها الثقافي التخريبي عن اللعب الحربية، فالدمى والحيوانات، والبيوت والأدوات كلها تحمل رموزاً ومميزات تجعل من الغرب نموذجاً ومثالاً «الدمى الشقراء ذات العيون الزرق والثياب الغربية.. إلخ».[1]

والذي يدعو إلى الأسف أن اللعب اعتمدت في أغلبها لغة المجتمع الذي وضعت فيه على حساب اللغة الأم «العربية الفصيحة» مادام البديل العربي غير موجود، وأن كثيراً من هذه اللُّعب ينقل قيماً غربية أبرزها قيمة الاستهلاك السهل في مقابل قيمة الجهد والبناء، وأن الكثير منها لا يمثل أيَّ تحدٍّ ذهني، ولا يتطلب أي مهارة.

غلبة اللهجات العامية في بعض مصادر الثقافة من جهة، واللغة الأجنبية في بعضها الآخر من جهة ثانية

تعد المسرحيات والأفلام السينمائية وسيطاً جيداً في نقل الثقافة الهادفة والملتزمة.

ومن يلق نظرة على المسرحيات التي تقدم إلى الجمهور، وعلى الأفلام السينمائية التي

[1] المرجع السابق ص31.

تعرض في دور السينما، يجدْ أن اللهجات العامية هي التي تهيمن عليها، وطالما عزف بعضهم عن متابعتها بسبب الإغراق في استعمال العامية فيها، حتى إن كثيراً من المفردات والتعبيرات فيها تحتاج إلى شرح، وقد رافق العرض ذلك الشرح.

أما المؤتمرات التي تعقد على الأرض العربية ويناقش بعضها قضايا عربية فيستخدم المشاركون فيها اللغة الأجنبية بديلاً عن العربية، وعلى هذا النحو يعمد ممثلو الدول العربية في الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها على استعمال اللغة الأجنبية مكان لغتهم الأم «العربية الفصيحة» مع أن لغتهم معتمدة بين اللغات الست الرسمية في تلك المواقع، ويسأل أحدنا: كيف نريد من الآخرين أن يحترمونا ما دمنا لا نحترم هويتنا وثقافة أمتنا متمثلة في لغتنا الأم؟

ضآلة الترجمة في صرحنا الثقافي

طالما شكونا ضآلة ما يترجم من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، وما ينقل من العربية إلى اللغات الأجنبية، وطالما تردد على نطاق الساحة القومية أن عدد الكتب التي ترجمت من عصر المأمون حتى الآن هو في حدود عشرة آلاف كتاب، وهذا العدد يقل عما تترجمه إسبانيا حالياً في عام واحد، وما تترجمه البرازيل في أربع سنوات.

أما اللغة الواردة في الترجمة فيغلب على بعضها التسرع، والعجلة، واضطراب المصطلحات، والأخطاء اللغوية.

ويمكن أن تؤدي الترجمة الآلية دوراً كبيراً في ميدان الترجمة إلى العربية، ومنها إلى اللغات الأخرى، على أن تخضع اللغة المستخدمة فيها إلى المراجعة والتنقيح قبل اعتمادها.

ضآلة المحتوى الرقمي باللغة العربية على الشابكة «الإنترنت»

تشير الإحصاءات المتعلقة بوضع اللغات المختلفة على الشابكة «الإنترنت» إلى أن اللغة الإنجليزية تحتل المرتبة الأولى بين اللغات، إذ تصل نسبتها إلى 70% في حين أن نصيب العربية لا يزيد على 2%، كما أن عدد المستخدمين العرب للشابكة هو أقل من 2%، مع أن

عدد الناطقين بالعربية يصل إلى 5% من سكان العالم.[1]

ومن الشواهد على ضعف المحتوى بالعربية أن محتوى الموسوعة العربية الحرة من حيث الحجم لا المضمون يماثل تقريباً ربع محتوى مقابلتها السويدية، علماً بأن متكلمي السويدية لا يزيد على تسعة ملايين، في حين أن متكلمي العربية يزيدون على 300 مليون، وكان عدد المقالات المنشورة على الموسوعة العربية الحرة 77,000 مقال مقابل 190,000 مقال باللغة السويدية.[2]

القصور في عملية تنسيق المصطلحات بالعربية

وهذه ثغرة في واقع استعمال اللغة العربية، إذ إن المصطلحات الموحدة تساعد على إيجاد اللغة المشتركة ووضوح الرؤية فهماً وتمثلاً وأداء، وطالما شكا الدارسون من الفوضى في استخدام المصطلحات، وغياب المنهجية الموحدة لوضع المصطلحات وتوليدها، وغياب التنسيق بين الجهات المعنية بوضع المصطلحات، والعفوية لدى بعض واضعيها، وجهلهم لها، إضافة إلى تعدد الواضعين، وتعدد مناهجهم، والجهل بالمصطلحات التراثية الحديثة، واختلاف الخلفية الثقافية واللغوية للمترجمين، وغياب الالتزام الصارم والدقيق من المؤلفين والمترجمين بما تم وضعه من مصطلحات نسقتها بعض الجهات على المستوى القومي.

التلكؤ في مواكبة مستجدات روح العصر

إن العصر الذي نحيا فيه هو عصر العلم والتقانة، وهو عصر التفجر المعرفي، وإذا كانت المعرفة من قبلُ تحتاج إلى مئات السنين حتى تتضاعف فإنها في عالمنا تتفجر وتتضاعف في شهور قليلة.

---

[1] الدكتور منصور فرح، **اللغة العربية على الإنترنت**، المؤتمر الوطني الأول لصناعة المحتوى الرقمي العربي بدمشق، حزيران 2009.

[2] الدكتور نور الدين شيخ عبيد، **المحتوى الرقمي العربي صورة لحقيقة**، المؤتمر الوطني الأول لصناعة المحتوى الرقمي العربي، دمشق، حزيران 2009.

ومن الملاحظ على الصعيد العربي أن ثمة تلكؤاً وتباطؤاً في عملية مواكبة روح العصر، وإذا كان للغتنا العربية أن تواكب مستجدات العصر في جميع ميادين المعرفة فما على الجامعات العربية ومجامع اللغة العربية ومراكز البحوث والمنظمات العربية والإقليمية إلا أن تواكب تلك المستجدات، وأن تضع التسميات بالعربية مقابل المصطلحات الأجنبية مع الأخذ بالحسبان أن لغتنا العربية الأم ولُود، تؤهلها خصائصها وسماتها لوضع المصطلحات بكل سهولة.

التلوث اللغوي في البيئة

إذا كنا قد لاحظنا أن البيئة التعليمية التعلمية لا تتسم بالنقاء اللغوي، وأن فيها تلوثاً فإن التلوث يتجلى تجلياً واضحاً في البيئة العامة، إذ إن ثمة جنوحاً إلى استخدام العامية والألفاظ الأجنبية في مختلف مجالات الحياة، وتفاقمت ظاهرة إطلاق التسميات الأجنبية والعامية على واجهات المحال التجارية وفي العلامات التجارية على المنتجات الوطنية، وفي المصانع والمعامل والمطاعم والفنادق والمقاهي والشركات والنوادي، وفي الإعلانات التي توضع في الشوارع والمحال العامة، وفي المطويات والنشرات والإعلانات واللافتات... الخ، إذ إن العامية الهجينة تسري كالنار في الهشيم على الألسنة.

تعدد المشروعات الرامية إلى طمس الهوية العربية وإبعاد العربية

ويتجلى بعض هذه المشروعات فيما يلي:

آ. استبعاد مصطلح العروبة والعربية والوطن العربي والأمة العربية من "مشروع الشرق الأوسط ومن الشراكة الأوربية المتوسطية".

ب. السعي إلى استبعاد اللغة العربية من بين اللغات العالمية المعتمدة في هيئة الأمم المتحدة ومنظماتها، واستبدال اللهجات العامية، على أنها لغة ثانية في امتحان الشهادة الثانوية لأبناء الجالية العربية في فرنسا، باللغة العربية الفصيحة.

ج. تشجيع اللهجات العامية في الوطن العربي وعلى الشابكة «الإنترنت» وفي القنوات

الفضائية، وتقديم الدعم المادي للباحثين في تلك اللهجات.

د. التعتيم على الحضارة العربية الإسلامية، وتشويه التاريخ العربي وتزويره، والدعوة إلى قطع العلاقة مع التراث «قتل الأب».

هـ. مهاجمة العربية واتهامها بالصعوبة، والتخلف، وعدم مواكبة روح العصر، والدعوة إلى اعتماد اللغات الكونية «الإنجليزية، الفرنسية» في التدريس، ولا يعدون العربية من بين اللغات الكونية.

و. تخليص المناهج التربوية من القيم التي تحض على النضال ومقارعة الأعداء والمحتلين.

ز. مهاجمة عمود الشعر العربي القديم، وتخليص المناهج منه ووضع الشعر الحديث مكانه.

ح. تقعيد العامية والكتابة بها في بعض ضروب الأدب.

ط. إحياء بعض اللغات القديمة لبعض الأقليات الاثنية ونشرها في المجتمع منافسة للعربية بحجة حقوق الإنسان.

تلك هي إشارات فقط إلى بعضٍ من جوانب القصور في بنيان لغتنا العربية، ولسنا هنا في مجال الحصر. وإذا كنا قد أشرنا إلى عدد من الثغرات المتعلقة بموقع اللغة العربية في منظومتنا الثقافية، فلا يمكننا إغفال بعض البقع المضيئة في رحاب العربية على الصعيد القومي، إذ إن ثمة جهوداً طيبة بذلت، بعضها فردي، وبعضها جماعي، بعضها قامت به وزارات ثقافة في الدول العربية، وبعضها قامت به مؤسسات خاصة ومراكز كالمعهد العالي للعلوم التطبيقية في دمشق، ومؤسسة عبد العزيز بن سعود البابطين للإبداع الشعري في الكويت، ومركز جمعة الماجد في دولة الإمارات العربية المتحدة، ومبادرة الملك عبد العزيز للمحتوى العربي في المملكة العربية السعودية، ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم في دولة الإمارات أيضاً.

وبعض تلك الجهود قامت به مؤسسات قومية كالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تونس، ومنها ما قامت به مجامع لغوية، ومنها ما قامت به الجامعات. ومن هذه الجهود ما تمّ

في الوطن العربي، وجهودٌ تمت خارجه.

بيدَ أن تنوع هذه الجهود يرسم أمامنا بصورة عفوية خريطة زاخرة الخطوط، ولكنها خطوط متداخلة ومتشابكة تمثل تكامل الجهود وتقاطعها وانقطاعها، إقليميتها وقوميتها، مشكلاتها الجزئية ومشكلاتها الكلية، اتساعها وضيقها، حذرها واندفاعها، حتى ليتعذر أن تهتدي إلى الوحدة بينها،[1] وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على غياب السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي في ضوئها على الصعيد القومي.

ثالثاً: اللغة في الإعلام

غني عن البيان أن وسائل الإعلام هي أدوات محايدة، قد تستعمل لبناء العقل والذوق، وقد تستخدم بصورة سلبية لتشويه العقل والذوق، وأن الدور الذي تقوم به في الحالتين يرتبط بطبيعة الظروف والسياقات السياسية والاجتماعية والثقافية والحضارية التي تعمل فيها.

ولقد كان للصحافة العربية في القرن الماضي أثر بارز في تطوير اللغة العربية على يد رعيل من الصحفيين كانوا أدباء في الوقت نفسه. إلا أن الأمر اختلف مع ظهور التلفزة على الخريطة العربية في خمسينيات القرن الماضي، ومن ثم كان الانفجار الذي وقع في دنيا الفضاء العربي مع مطلع عام 1990، ومنذ ذلك التاريخ حتى الآن تضاعف عدد القنوات الفضائية العربية ليزيد على 600 قناة تنتشر على أقمار اصطناعية مختلفة.

ومن الملاحظ أنه كان للفضائيات التلفزية العربية دور شديد السلبية في الإضرار باللغة العربية، وتجلى ذلك في اختيار أسماء بعضها، ففي عام 1991 ظهرت قناة MBC، وفي عام 1994 ظهرت باقة قنوات ART ومجموعة قنوات Orbit، وكان اختيار الأسماء هنا دالاً على مواقف من اللغة العربية سيطر على عقل المسؤولين عنها ووجداناتهم تمشياً مع الحداثة أو ما

---

[1] الدكتور شكري فيصل، **المؤتمرات والندوات التي عقدتها المنظمات والهيئات العربية حول تعريب التعليم الجامعي في مجالات المصطلح والترجمة والتأليف**، عرض ودراسة 1982 ص50.

بعد الحداثة، ومع متطلبات العولمة وإفرازاتها وهيمنة اللغة الإنجليزية.

وتجلى الإضرار بالعربية في اعتماد اللهجات المحلية المغرقة في عاميتها. ومن المعروف أن العاميات أداة تفكيك لنسيج الأمة الثقافي، في حين أن الفصيحة عامل توحيد كما سبقت الإشارة إلى ذلك من قبلُ، وها هي ذي أغلب البرامج والمسلسلات المؤلفة والمدبلجة والمنوعات تبث بالعامية، وكأنها تثبت للمواطن العربي عقم فكرة أن العرب يتحدثون بلغة واحدة على حدّ تعبير الإعلامي الدكتور محمود خليل: وهذه البرامج تنخر في الجسد العربي وتفصل بين أعضائه بتعزيزها اللهجات المحلية واعتمادها.

وإذا انتقلنا إلى الخطاب الديني على القنوات الفضائية فإن الإحصاءات تشير إلى وجود ما لا يقل عن ستين قناة تلفزية دينية تسبح في الفضاء العربي، وتقدم في أحيان كثيرة خطاباً دينياً وعظياً يعتمد العامية بحجة التبسيط والوصول إلى مختلف المستويات كما يزعم أصحابه، وكان متوقعاً أن يكون الخطاب الديني بالفصيحة، والقرآن الكريم ذروتها وحارسها.

وثمة ظاهرة انتشرت بين الشباب العربي وهي استخدام الحروف اللاتينية على أنها بديل للحروف العربية في كتابة رسائل الهاتف المحمول. وتسهم القنوات الفضائية العربية أيضاً ولاسيما الغنائية منها في نشر هذه الظاهرة، فهي تعمل على إحلال الحرف اللاتيني محل الحرف العربي في الكتابة العربية. ويظهر ذلك من خلال الرسائل التي يبعث بها المشاهدون الشباب بعضهم إلى بعضهم الآخر عبر شريط الرسائل التابع للقناة.

وفي ظل هذه الأجواء يمكننا أن نتصور بعد مدة ليست ببعيدة، وجود جيل لا يجيد القراءة والكتابة بالعربية إلا باستعمال الحروف اللاتينية ليحقق بذلك ما حاول الاستعمار أن يقوم به على مدار سنوات احتلاله لأرجاء الوطن العربي وأخفق، وكأن القنوات الغنائية العربية وعددها يزيد على الستين أصبحت أكثر قدرة على محاربة الفصيحة من الاستعمار.

ولا يمكننا أن ننسى، في الوقت نفسه الذي نشير فيه إلى جوانب القصور في المجال الإعلامي، بعضَ الجهود الطيبة التي أنجزت في مجال العناية باللغة العربية الفصيحة إن في

الندوات الثقافية في الإذاعة والتلفزة التي تستخدم العربية في حواراتها ومناقشاتها، وإن في مجال ترجمة بعض المسلسلات والأفلام إلى العربية، وإن في دبلجة بعض هذه الأفلام، وإن في إنجاز بعض البرامج الثقافية الموجهة إلى الأطفال والمصوغة بالعربية السهلة الميسرة، وإن في بعض البرامج والمسلسلات التاريخية والتوثيقية، وإن في نشرات الأخبار... الخ.

إلا أن من حق لغتنا علينا أن نعزز الأمور الإيجابية، وأن نتلافى الأمور السلبية في ضوء استراتيجية واضحة.

رابعاً: مِن سُبُل النهوض

إذا كانت الدول العربية جادة في النهوض بلغتها، والارتقاء بها، والمحافظة على حدودها، فما عليها إلا أن تكون حريصة على تنفيذ مشروع النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة، الذي تقدمت به الجمهورية العربية السورية إلى مؤتمر القمة العربي الذي عقد بدمشق عام 2008 ووافق عليه، وقدّم الشكر لسورية على مبادرتها لإطلاق هذا المشروع، وكلّف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تنفيذه بالتنسيق مع اللجان المشكلة لهذه الغاية في الدول العربية، وهو مشروع شامل لجميع مكونات النهوض باللغة.

ومادمنا في صدد البحث في اللغة العربية في الثقافة والإعلام، فيمكن أن نقدم باقة من التوصيات الرامية إلى الارتقاء بواقع اللغة في هذين الميدانين، وفيما يلي بعضها:

- إصدار القرار السياسي اللازم للتعريب أسوة بالأمم الحية التي تعنى بلغاتها القومية وكفانا تسويفاً وتلكؤاً.
- وضع سياسة لغوية على الصعيد القومي وتخطيط لغوي في ضوئها.
- التنسيق بين جميع الجهات المعنية بوضع المصطلحات والالتزام باستعمال المصطلحات الموحدة.
- تفعيل الترجمة إلى العربية ومنها إلى اللغات الأجنبية في ضوء خطة عامة للترجمة، ودعم المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، على أنه الجهة المعنية على الصعيد

القومي للاضطلاع بدور الترجمة، ولاسيما ترجمة أمهات الكتب العلمية ورفد الجامعات العربية بها.

- تفعيل المكتبات المدرسية ومدّها بالكتب الملائمة والمتنوعة في مختلف جوانب المعرفة، تحقيقاً لرغبات الناشئة وحاجاتهم، وإرضاء لميولهم واهتماماتهم، على أن يكون المعلمون قدوة أمامهم في محبة الكتاب، والحث عليه، وتقديم الجوائز للمجلّين في المطالعة الحرة.
- إعادة النظر في مناهج إعداد المعلمين والإعلاميين، وفي برامج تدريبهم، بحيث تكون وظيفية وعملية تركز على الجوانب التطبيقية أكثر من تركيزها على الجوانب النظرية.
- معالجة الشؤون اللغوية وقضاياها بالأساليب العلمية والتجارب الميدانية، وكفانا الاعتماد على الخبرات الذاتية والانطباعات الشخصية في المعالجة.
- العمل على زيادة المحتوى الرقمي العربي على الشابكة «الإنترنت»، وتقديم الجوائز والمكافآت لأصحاب أحسن المواقع وأفضل الباحثين الذين يستخدمون العربية السليمة في هذا المجال.
- الإكثار من البرامج الموجهة إلى الأطفال والمصوغة بالعربية السليمة والسهلة الميسرة، في وسائل الإعلام المختلفة والمتنوعة، والإكثار من الأناشيد والأغاني المصوغة بالفصيحة. الالتفات إلى الطفولة المبكرة (رياض الأطفال)، وضرورة الاهتمام بمربياتها ومناهجها وألعابها اللغوية على أن يكون تأهيل هؤلاء المربيات على مستوى جامعي.
- تعزيز الانتماء والتوعية اللغوية في جميع جوانب حياتنا انطلاقاً من أن العربية هي الوطن الروحي لأبناء الأمة.
- وضع الخطط الرامية إلى ربط أبناء الجاليات العربية المهاجرة بثقافة أمتهم ولغتها وتقديم كل دعم مادي لازم لتحقيق ذلك على غرار ما تفعله الأمم الأخرى.
- الإكثار من تقديم المسرحيات والأفلام السينمائية والمسلسلات الإذاعية والتلفزية بالعربية السليمة.
- الحؤول دون تقديم البرامج الدينية والتوجيهية في وسائل الإعلام بالعامية، والعمل على

الارتقاء بلغة الجمهور، لا على أن يتخلى الدعاة عن لغة القرآن الفصيحة إلى اللهجات العامية بحجة القرب من مخاطبته.

- تفعيل أداء المجامع اللغوية العربية في مواكبة روح العصر، عصر العلم والتقانة، ووضع التسميات العربية مقابل المصطلحات الأجنبية والتفجر المعرفي في مختلف الميادين.
- ضرورة الالتزام باستعمال المصطلحات الموحدة على الصعيد العربي تجنباً للبلبلة والاضطراب في هذا المجال.
- دعم جمعيات حماية اللغة العربية في الوطن العربي، وإنشاء جمعيات ولجان للمحافظة على اللغة، على أن يقوم المجتمع المدني بدوره إلى جانب الجهات الرسمية المعنية بالنهوض باللغة والارتقاء بها.
- تفعيل العمل التطوعي في تنقية البيئة من التلوث اللغوي، على أن يكون كل مثقف مصححاً لغوياً، وحريصاً في الالتزام باستعمال لغته على السلامة اللغوية في منأى عن الأخطاء الصارخة، وأن ينبه في الوقت نفسه على الاستعمال الصحيح للأداء اللغوي.

والواقع أن عمق الانتماء إلى أمتنا العربية ولغتها العربية عنوان هويتها وذاكرتها ووطنها الروحي يساعد على تخطي الصعاب، ويحول دون الذوبان والامّحاء، مع الأخذ بالحسبان أن مسؤولية النهوض باللغة إنما هي مسؤولية جميع أبناء الأمة مادامت العربية لغتهم الأم، وجميل جداً أن يكون الأبناء بررة بأمهاتهم وأوفياء لهن، إذ لا شيء أمرّ من العقوق!

وإن لغتنا العربية الأم الولود الحنون الغنيّة والسخيّة ليست بعاجزة عن مسايرة ركب العلم الحديث، وإنما أبناؤها العاقّون هم العاجزون، وهم الذين يخرّبون بيوتهم بأيديهم، ويطفئون نور حضارتهم بأفواههم، ويطمسون معالم شخصيتهم بآرائهم المنحرفة.

لقد جاء في فقه اللغة للثعالبي «من أحب الله أحب نبيه المصطفى ﷺ العربي، ومن أحب نبيه العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية، ومن أحب اللغة العربية عُنِيَ بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها».

إلا أن حب العربية والتعلق بها لا ينبغي بأي حال من الأحوال أن يتحول إلى عصبية لغوية، فنحن نحترم اللغات كافة على غرار ما انتهجته أمتنا العربية من قبلُ في منأى عن أي تشنج أو تعصب، ولكننا في الوقت نفسه لا نعمل على التفريط بحق لغتنا الأم والدفاع عن حدودها، إذ إن لها حدوداً كما للوطن حدود، لا تُترك للمعتدين عليها والمتجاوزين لها، وإذا كانت العصبية مرفوضة فإن التفريط في اللغة غير مقبول على الإطلاق!